

الفصل الثالث

الفن والأزياء بالقرن السابع عشر

- مقدمة عن الطراز الباروكي .
- طبيعة الفنون التشكيلية الباروكية .
 - فترة الباروك الروماني .
 - فترة الباروك الفرنسي .
- العلاقة المتبادلة بين فن الأزياء والفنون التشكيلية الباروكية .
 - فن العمارة .
 - فن النحت .
 - فن التصوير .
 - الفنون الحرفية .
 - الزخارف الباروكية .

مقدمة عن الطراز الباروكي

يعتبر الطراز الباروكى من الطرز الفنية التى تزخر بتاريخ فنى عظيم يمثل حضارة عريقة ومدنية زاخرة ، لها قواعدها وقدمها الراسخ فى مختلف أنواع الفنون التشكيلية المتواجدة فى القرن السابع عشر ، والذى كان الغرض الأساسى منه إظهار العظمة والفخامة والأبهة المبالغ فيها . هذا بالإضافة إلى أن الطراز الباروكى له آثاره الخالدة التى امتدت وإستمرت فى القرون التالية للقرن السابع عشر .

طبيعة الفنون التشكيلية الباروكية

- فترة الباروك الرومانى أو الدولى ١٦٠٠ : ١٦٦٠

Roman Baroque (Interantional Baroque Style)

فى هذه الفترة انتهى الصراع بين الباروك والمانرزم بانتصار الباروك ، ونهاية تشويش وجنون حركة المانرزم فى سنة ١٦٢٠ . واصطبغ فن الباروك فى روما بصبغة دولية (Van Schaack-1964-5) (Squire-1974-7,10) ، وبدأت روما فى نهاية القرن السادس عشر تستعيد الأمجاد التى فقدتها فى بدايته ، وكان الثراء قد أخذ يفد إليها من الشرق ومن القارة الجديدة ، وكان تنظيمها الإدارى يدعو إلى إنشاء القصور والأديرة والكنائس ، وكانت الاحتياجات الفنية عديدة ومتشعبة بعد أن فتح عصر النهضة فى القرن السادس عشر آفاقاً رحبية للتعبير الفنى (بدر الدين أبو غازى - د.ت - ٣٤٠) ، وأوجدت بها حركة الإصلاح الدينى المضاد فى القرن السابق فناً مكرساً لرفعة الدين وتأكيد سلطة الكنيسة الكاثوليكية «فن الباروك» كما سبق ذكره ، وقد انتقل هذا الفن بعمارته ونحته وتصويره ذو الرونق والبهاء ، إلى جو أكثر براحاً ويزيد فى عاطفيته عما عرف من قبل (برنارد مايرز - ١٩٥٨-٣٦١) ، متجهاً بذلك اتجاهاً حسياً زخرفياً مادياً بالمعنى التقليدى للفظ الباروك .

لذلك فقد أصبحت رسالة روما الآن هى أن تبدو فى أروع مظهر ، لا بوصفها المقر البابوى فحسب ، بل بوصفها عاصمة المسيحية الكاثوليكية وعاصمة العالم الفنى أيضاً ، وهكذا أخذت تسود فن الكنيسة بدورها صفات

الفخامة والأبهة التي تميز فن البلاط ، وعلى حين أن أسلوب المانرزم كان مضطراً إلى أن يكون صارماً ، زاهداً ، مرتبطاً بعالم آخر ، فإن الباروك كان مسموحاً له بإتباع طرق أكثر تحراً وأقرب إلى الحسية (أرنولد هاوزر - د.ت - ٤٨٦) ، ليعبر بذلك عن استعادة الكنيسة لسلطانها الروحية والزمينية ، ويقرب بين القيم البشرية والروحية ، ليعمل بذلك على تدعيم إيمان المزعزعين ويجلب إناساً جدد إلى حظيرة الإيمان ليكونوا عوضاً عن الخسائر التي تكبدتها الكنيسة أثناء حركة الإصلاح المضاد (برنارد مايرز - ١٩٥٨ - ٣٦١) .

ولذا فقد بالغت الكنيسة في الكشف عن ثرائها الديوى ، وتصوير أمجاد السماء التي تشيد إليها القلوب عن طريق تسخير الفنون لخدمتها ، وخاصة فنون التصوير ، والعمارة التي أصبحت بفضل جماعة اليسوعيين «الجزويت» القوية النفوذ تشع البهجة في النفوس ، فغمرت الكنائس بالألوان البراقة والزخارف المفرطة التي تبدو لنا اليوم في جمال الديكورات المسرحية ، وهجرت الكنيسة أسلوب عصر النهضة في القرن السادس عشر الذي نادى بتحكيم العقل في تحديد أثر العمل الفني ، وآثرت في عصر الباروك ضخامة الحركة الألوان الصارخة في العمارة والتصوير مع إبراز التأثيرات القوية للضوء والظلال . (ثروت عكاشة - د.ت - ١٣٢) ، كأنما أراد هذا الفن بإفراطه المبههر أن يمجّد الأبهة الأرضية إلى درجة الخلط بينها وبين لانهائية ما فوق الطبيعة ، وبذلك يصفى الإحساس باللانهائية (نقولا ناهض - ١٩٨٥ - ٣٥٠٨) .

وبدأت الآن في روما فترة من أكثر فترات الإنتاج الفني غنى وترفاً ووفرة، أسفرت عن تشييد عدد من الكنائس الكبيرة والصغيرة ، وإنتاج عدد من صور السقوف وقطع المذابح ، وتمائيل القديسين ونصب القبور ، والمعابد وقرايين النذور يفوق ما أنتج في أي عصر سابق . ولم تكن هذه الموجة الجديدة من الإزدهار ، التي يرجع الفضل فيها إلى إحياء الكاثوليكية ، مقتصرة على فروع الفن الكنسية وحدها ، إذ أن البابوات لم يكتفوا بتشيد كنائس رائعة ، بل إنهم شيدوا أيضاً لأنفسهم قصوراً وبيوتاً خاصة وحدائق رائعة . كذلك فإن الكاردينالات المقربين إلى البابا ، الذين أخذوا يزدادون تشبهاً بأسلوب الأمراء في طريقة معيشتهم ، كانوا يشيدون مباني لاتقل ترفاً عن السابقة . وهكذا فإن الكاثوليكية التي يمثلها البابا وكبار رجال الدين ، أخذت تزداد بالتدريج اصطفاً بالصبغة الرسمية والبلاطية . وفي عهد «إيربان» الثامن ، وهو البابا الذي ينتمي إلى أسرة باربريني ، أصبحت

روما هي مدينة الباروك كما نعرفها الآن . وظلت روما هي المسيطرة على كل نواحي الحياة الفنية في إيطاليا ، وكانت هي مركز الفنون لأوروبا الغربية بأسرها . ولقد اصطبغ فن الباروك في روما بصبغة دولية ، شأنه شأن الفن القوطي الفرنسي ، فهو يستوعب في داخله كل القوى المتوافرة ويجمع في ذاته كل الجهود الفنية الحيوية لذلك العصر في أسلوب واحد كان يعد عصرياً في جميع أرجاء أوروبا . وبحلول عام ١٦٢٠ كان أسلوب الباروك قد سيطر آخر الأمر على روما وعلى كافة الفنون التشكيلية بها (أرنولد هاووزر - د.ت - ٤٨٦ ، ٤٨٧) .

ومن إيطاليا الموطن الأصلي للباروك انتشرت هذه الحركة في جميع أنحاء أوروبا ، وأثرت على الأرياء كمثل تأثيرها على كل الفنون التشكيلية بها ، واختلفت درجات تأثيرها في البلاد ، فكانت أقل وضوحاً في الأقطار المنخفضة (إنجلترا ، شمال ألمانيا ، اسكندنافيا) ، وأكثر وضوحاً وتأكيدياً في البعض الآخر (فرنسا ، الفلاندرز ، أسبانيا ، ومنصف أوروبا) ، وقد كانت فرنسا من البلاد التي تأثرت سريعاً بفن الباروك الروماني وذلك لأنها كانت من أكثر الدول إتصلاً بإيطاليا في عصر النهضة في القرن السادس عشر ، كذلك فقد اختلف روح المناخ الخاص بها ، فكانت أكثر عقلانية في باريس بسيطة في مدريد ، وتميل إلى الإفراط الشديد في روما (Boucher-W.D-251) .

ويعد بذلك الطراز الباروكى الروماني فترة وسطى بين فترتين منطقتين ، وهما النهضة والباروك الكلاسيكي ، حيث تميز الفن الباروكى الروماني في هذه الفترة بالجمع بين الكلاسيكية وبين التحول الخيالي الغير عقلاني ، متجهاً بذلك اتجاهاً حسيماً زخرفياً مادياً بالمعنى التقليدي للفظ الباروك ، ومنتشراً بسماته الفنية المميزة في جميع الفنون التشكيلية لهذه الفترة ، مشكلاً بذلك وحدة فنية بين جميع الفنون المتواجدة في ذلك التوقيت (Carlo Argan-1989-10) .

فترة الباروك الفرنسي أو الكلاسيكي ١٦٦١ : ١٧١٥

French Baroque (Classical Baroque Style)

في هذه الفترة تضاءلت قوة وحيوية إيطاليا وذلك لاضمحلال نفوذ الهيئة البابوية وازدياد فقر روما بالرغم من تأثيرات الباروك العالية التي استمرت في القرن الثامن عشر ، تحول مركز عالم الفنون من إيطاليا إلى فرنسا تلك الدولة التي نما فيها البناء السياسي الأكثر تقدماً في ذلك العصر وهو الملكية المطلقة ، والذي

كان الإنتاج الفني فيه يمتلك أعظم الموارد ، وقد أطلق الدوق «دى بويون» على باريس اسم عاصمة العالم فى حوالى منتصف القرن ، وبالفعل لم تكن فرنسا فى ذلك الوقت أهم دول أوروبا سياسياً فحسب ، بل كان لها السبق أيضاً فى كل شئون الثقافة والدوق (أرنولد هاووزر - د.ت - ٤٨٨) .

وقد وضحت استعارة الفنانين الفرنسيين من إيطاليا كثيراً فى أفكارهم ، ولكن بدأت شخصية الفن الفرنسى تتأكد تحت قيادة الكاردينال ريشيليو وذلك من سنة (١٦٢٤ : ١٦٤٢) ، حيث كانت هناك طاقة كبيرة للتجديد ، فالروح الهامة للفنون والنزعة العاطفية التى كان قد قدمها الباروك الرومانى ، قد وجهت بالتدرج إلى اتجاه جديد وذلك تبعاً للإختلافات فى قومية البلد والمزاج والطبيعة الخاصة بالشعوب وفى عهد لويس الرابع عشر ازداد الاهتمام بالفنون ، وإبراز الطابع الفرنسى ، فعنى لويس وزيره كولبير بالفن وأدركوا أهميته فى تدعيم وتعزيز الملكية المطلقة والسلطة فى البلاد ، ولذا فقد استعان الملك بالفنانين الإيطاليين لتعليم الفرنسيين أصول الباروك (Squire-1974-93) .

وقد فضل الفرنسيون تسميته طراز لويس الرابع عشر عن تسميته بطراز الباروك حيث أن طراز لويس الرابع عشر يعكس طراز الباروك الإيطالى بعد تطويره ، لذلك أطلق عليه الباروك الكلاسيكى ، حيث كانت الكلاسيكية هى طراز البلاط الرسمى ، إلا أن جذورها نشأت من التقاليد التى كانت منتشرة فى القرن السادس عشر (محمد على أبو ريان ١٩٧٠-١٧٩) ، وجوهر النزعة الكلاسيكية فى الباروك الفرنسى ، هو التنظيم الدقيق والتحدد ومبدأ التركيز والتكامل .

حيث أرادت النزعة الكلاسيكية بذلك أن تجعل للفن طابع موحد كالدولة ، ليؤدى إلى إحساس بالكمال الشكلى كحركة طابور من الجند ، وأن يكون واضحاً ودقيقاً ، كأنه مرسوم ملكى ، وأن تحكمه قواعد مطلقة كحياة كل فرد فى الدولة (أرنولد هاووزر - د.ت - ٤٩٤) . وقد ظهر ذلك فى الفنان بوسان "Poussin" ، ١٥٦٥-١٥٩٤ ، فى عهد لويس الثالث عشر وقد عينه الكاردينال ريشيليو والملك ، كأحد أقطاب النزعة الكلاسيكية .

ويتبلور طراز الباروك الكلاسيكى حول معنيين ممتزجين وهما الاستبدادية والأكاديمية .

الاستبدادية :

كان الكاردينال ريشيليو هو أول من وضع مفهوم الاستبدادية ، ولكن هذا المفهوم قد بلغ ذروته على يد «لويس» الرابع عشر كمثل للملكية الاستبدادية والدولة المركزية . وكما أن الاستبداد السياسى كان يعنى توحيد كافة المؤسسات الاجتماعية والحكومية تحت سيطرة شخص واحد ، كذلك كان الاستبداد الجمالى يقتضى تجميع كل الفنون فى إطار عام . وبينما استطاع هذا العهد تشييد المبانى وانجاز التماثيل والصور والأعمال الأدبية التى تشد الاهتمام كل على حدة ، إلا أنها شكلت فى تألفها وتجمعها ملحمة متماسكة بالغة التأثير (ثروت عكاشة ١٩٨٨-١٥٧ ، ١٥٨) .

الأكاديمية

ومع أن الحركة الأكاديمية قد بدأت رسمياً بتأسيس أول أكاديمية فرنسية خلال عهد «لويس» الثالث عشر ، ولكن قد كان هناك اتجاه متحرر نسبياً لا يزال يسود الحياة الفنية ، ولم يكن الفنانون قد أصبحوا بعد تحت وصاية الدولة ، ولم يكن قد ظهر بعد انتاج فنى تنظمه الحكومة ، كما لم يكن هناك قبول عام لقواعد تفرضها الدولة ، ولكن أراد «لويس» الرابع عشر كمثل للنزعة الكلاسيكية الرسمية أن يضع حداً لكل حرية فنية ولكل محاولة من أجل تحقيق نوع من الذوق الشخصى فى جميع الفنون وبصمة مميزة لكل الإبداع الفنى الذى يشكل الذوق العام (أرنولد هاوزر - ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

ولذلك فقد تعددت الأكاديميات الفنية فى عهد الملك «لويس» الرابع عشر ، كأكاديمية التصوير والنحت ، وأكاديمية العمارة ، وأكاديمية روما التى تأسست أخيراً فى سنة ١٦٦٦ ، والعديد من الأكاديميات فى المجالات الأخرى ، حيث عهد إلى الأكاديميات بتحديد التعريفات الجمالية والقواعد الفنية والوسائل التقنية المتعلقة بتخصصاتها (ثروت عكاشة - ١٩٨٨-١٥٨) (ارنولد هاوزر - د.ت - ٤٩٦) وبذلك استطاعت الأكاديمية ترويض الحماسة والحيوية والغزارة الباروكية وإخضاعها للقواعد الصارمة التى لا تبيح أى انحراف عنها ، ولذلك أطلق على الفن الأكاديمى الفن الكلاسيكى (ثروت عكاشة - ١٩٨٨-١٥٩) .

وفى ظل هذه النزعة انتقلت السيادة الفنية من إيطاليا إلى فرنسا واستقرت بها حتى الآن ، وبذلك بعد أن منح للباروك الإيطالى خمسين سنة تقريباً من

السيطرة الفنية في هذا القرن ، سيطر الباروك الفرنسي على جميع فنون هذه الفترة في إطار واحد مترابط ومتكامل ، يجمع بين الباروك الإيطالي والنزعة الكلاسيكية للبلاد الفرنسية (Boucher-W.D-252).

العلاقة المتبادلة بين فن الأزياء والفنون التشكيلية الباروكية

إن الدراسة التاريخية لتطور الأزياء باعتبارها أحد عناصر الحضارة الإنسانية ، لاتغفل أهمية دراسة الفنون التشكيلية المختلفة من عمارة ونحت وتصوير ..، حيث تعكس الفنون كلها روح الثقافة العامة والطرز السائد في ذلك الوقت ، وتوضح الذوق العام والمثل الجمالية السائدة (سلوى هنرى - ١٩٨٢ - ١٢). وفن الأزياء كأحد الفنون التشكيلية الهامة ينطلق متأثراً بالطرز العام لأى عصر ، ويرتبط بغيره من الأشكال الفنية الأخرى التى تظهر فى المناخ الثقافى والحضارى فى فترة ما .

ويمثل القرن السابع عشر قمة ازدهار الطراز الباروكى ، الذى أصبح له علاقة وثيقة بكل مجالات الحياة . حيث اتجه الباروك إلى تحويل كل شىء فى الحياة إلى الخيال وذلك باستغلال القيم المادية الملموسة فيه وتحويلها إلى الخيال فى وسط زهو وجمال العالم المحيط ، وروح الطراز الباروكى التى افنتت المعماريين ، والنحاتين ، والرسامين ، أثرت فى الأزياء تلقائياً واستثمرت الموضة هذا الطراز الجديد (Squire-1974-83)، وذلك لوجود توافق وانسجام لاريب فيه عمل على إقامة علاقة بين فن الأزياء وفن الباروك لإتجاه كل منهما للخيال والإبداع مستعيناً بالقدرات الإبداعية والبراعات الفنية الفائقة (Batterberry-1982-251).

وقد عكست أزياء القرن السابع عشر روعة وجمال ذلك الطراز الفنى الجديد (طرز الباروك) ، وذلك بترفعها عن كل قيود ، وتأكيد لها الشديد على الحرية والحركة وذلك بإنقاء التفاصيل الواضحة وتأكيد لها وإلقاء الضوء عليها وإبرازها عن طريق تصميماتها التى تظهر جمال استدارة الخطوط الباروكية الجريئة القوية المتداخلة ، والخامات المستخدمة بزخارفها الباروكية المتقنة هذا بالإضافة إلى جمال وفخامة الاكسسوارات المستخدمة بإفراط شديد مع الأزياء .

(Squire-1974-83) (Batterberry-1982-25) (Boucher-W.D-251).

هذا وقد كان هناك ارتباط وتوافق تام بين جميع الفنون التشكيلية وبين فن الأزياء فى القرن السابع عشر ، حيث نسجت جميعها فى صيغة موحدة باللغة التأثير على أنها انعكاس للطراز الباروكى . ولذلك سوف نتناول بعض هذه الفنون التشكيلية وعلاقتها بفن الأزياء فى القرن السابع عشر .

فن العمارة

يعتبر فن العمارة والنحت من أولى ميادين الفن التشكيلى التى اجتاحتها الباروك (نقولا ناهض - 1985-3509) ، وقد اتسمت العمارة بالتنوع والتصميم المركب ، وبالمبالغة فى العناصر الزخرفية مع الاحتفاظ بالقوة والفخامة التى ابتدعها ميكل انجلو (بدر الدين أبوغازى - د.ت - 339) .

وقد عزفت العمارة عن الخطوط المستقيمة وعن قواعد النسب والتوازن الكلاسيكية ولجأت إلى الإستدارات والإفراط فى الزخارف ، والنقوش المتعددة والمتنوعة ، وضخامة الأحجام التى جمعت بين الأعمدة الكورنيثية الكلاسيكية بخطوطها المستقيمة ورشاققتها الدقيقة ، وبين الأركان المستديرة والمربعة والمستطيلة .

وتتجلى عظمة الطراز الباروكى المعمارى فى استخدامه لخامات متنوعة بألوان متعددة ، فاستخدم الرخام بالألوان المتعددة ، والأحجار ، والمرمر ، والذهب ، والبرونز بألوانها الجميلة المتألقة وقد كان لكل ذلك أثر كبير فى إكساب الهندسة المعمارية الإكبار والأبهة (ثروت عكاشة - 1988-119 ، 162 ، 164 ، 166 ، 167) (محمد مصطفى عزت - د.ت - 30) .

ومن أهم الآثار المعمارية لهذا العصر كنيسة القديس بطرس بروما الذى صممها بورومينى لوحة رقم (1) ، وقصر فرساي وبهو المرايا الشهير بفرنسا التى شادها مهندس العصر مانسار اللوحتان أرقام (2) ، (3) .

وبالنظر إلى الأزياء الباروكية بالقرن السابع عشر نجد إنها اتجهت نفس الاتجاه المعمارى الباروكى . فعرفت الأزياء الباروكية عن قواعد النسب والتوازن الكلاسيكية ولجأت إلى الإستدارات أيضاً ، فتميزت الأزياء بالخطوط اللينة المستديرة التى ظهرت فى فتحات الرقبة الدائرية الشكل ، والمجوفة إلى أسفل الأمام تاركه الثدى يكاد أن يكون عارياً تماماً ، مؤكدة بذلك على الشكل المتفتخ

الدائري الطبيعي للجسم . اللوحتان أرقام (٢٢) ، (٣٥) ، والأشكال أرقام (١٧) ، (٢١) ، (٢٤) ، (٢٦) ، (٢٧) .

كما تأكدت الإستدارة التامة من خلال طوق العنق الدائري ، وشكل الأكمام المستديرة الضخمة ، بالإضافة إلى الشكل القمعي العميق للأساور الذي يكشف عن جمال استدارة الأيدي الطبيعية للوحات أرقام (٢٣) ، (٢٥) ، (٢٦) ، (٢٧) ، (٣٣) .

بالإضافة إلى ذلك فقد أكد خط الوسط الدائري المرتفع الإحساس بالإستدارة التامة ، والخطوط الطبيعية للجسم ، وقد أدى ذلك إلى صغر حجم حشو الأرداف التي اختلفت تماماً في بعض الأحيان ، وبذلك أخذ الجزء السفلي من الملابس أيضاً الشكل اللين المستدير المدعم بالعديد من الجيوبونات . وقد ظهرت النساء وهي تجذب الجونة العليا إلى أعلى فيشكل ذلك العديد من الإنحناءات الدائرية في الخلف مؤكدة بذلك على أسلوب الباروك شكل رقم (٢٠) .

وظهرت الضخامة المتميزة للطراز الباروكي في شكل تجمعات غريبة في الأزياء ككتل ضخمة مزخرفة بإفراط شديد ، في شكل الأكوال المسطحة والأساور وأطواق العنق الدائرية الضخمة ، وكانت هذه الكتل بارزة وواضحة عن طريق ألوانها الفاتحة والخامة المستخدمة بها . اللوحتان أرقام (٣٣) ، (٣٤) وقد ظهر بها الإفراط الشديد في الزخارف المتداخلة في خامة الدانتيلة المزينة لها حيث تميزت الدانتيلات الإيطالية بزخارفها النباتية الباروكية الملتفة والمتداخلة مع خطوط «الأرابيسك» (*) الواضحة ، وكانت هذه الزخارف متشابهة مع الزخارف المستخدمة في فن العمارة .

وقد بالغت النساء في ضخامة أحجام أزيائهن ، وذلك في شكل العباءة المفتوحة التي كانت ترتديها فوق الفستان ، ويتوجها من أعلى برفع مدعم بسلك ضخم جداً من فوقها ليؤكد بذلك على أسلوب الباروك واشتراكه في إبراز الكتلة في الملابس شكل رقم (٢٣) .

(*) الأرابيسك : هي الأشكال والخطوط اللينة الملتفة التي يمكن تأويلها إلي أغصان الشجر الصغيرة استخدمت أساساً في الفن الإسلامي ومنه اشتقت كلمة أرب نسبة إلي عرب المسلمين.

هذا وقد جمعت أزياء النساء فى ضخامة أحجامها بين دقة وصلابة الأسلوب الكلاسيكى وبين ليونة وغازارة الأسلوب الباروكى .

وقد ظهر ذلك فى تصميم الخط الخارجى للكورساج الذى ازداد فى الطول متخذ شكل مستقيم كلاسيكى جامد ، ومشكلاً الرقبة بالشكل المربع ، اللوحات أرقام (٢٣) ، (٢٤) ، (٤٤) ، (٤٥) وبالشكل المستقيم والبيضاوى عبر الأكتاف اللوحات أرقام (٣٩) ، (٤٠) ، (٤١) مع زيادة ضخامة الجزء السفلى من الجسم كما أخذت أغطية الرأس (الفونتا) شكل رأسى ضخم مدرج فوق الرأس اللوحات أرقام (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٩) ، (٥٠) ومع كل هذه الكلاسيكية التامة جمعت الأزياء بينها وبين ليونة وغازارة الأسلوب الباروكى فى أسلوب الزخرفة وتنوع الخامات المستخدمة بألوانها المتعددة بأسلوب فى غاية الروعة والجمال ومشابهة تماماً لما استخدم فى فن العمارة .

فاستخدمت الأزياء خامات متنوعة بألوان متعددة ، حيث أصبحت الأكمال المستقيمة للفتان تنتهى بأساور عريضة بشكل دائرى متهدل من أدوار الكشكشات الدائرية المصنعة بخامات مختلفة من الحرير والشيفون والدانتيلة ومزينة بفيونكات الشرائط والى تنتهى فوق الكوع لتظهر جمال الإستدارة الطبيعية للذراع اللوحات أرقام (٤٤) ، (٤٥) ، (٤٩) .

كما استخدمت نوعيات الزينة المختلفة بإفراط شديد وبشكل كثيف جداً فى جميع أجزاء الملبس عن الفترات السابقة ليؤكد بذلك على أسلوب الباروك الفرنسى . وقد تمثل ذلك فى الإستخدام الرائع للدانتيلات والشرائط ، والأشكال المختلفة من التجميعات والأهداب والشراريب ، وكشكشات القماش بألوان مختلفة وأيضاً فى كثرة إستخدام المعادن النفيسة كالماس والذهب والفضة مع خامات الأزياء بألوانها الزاهية الجميلة وذلك لإظهار الطابع الباروكى الفرنسى المميز .

فن النحت

قد إرتبط فن العمارة فى عصر الباروك بنشاط كبير فى فن النحت ، فكان طبيعياً أن يتجه النحت نحو هذه العمارة الباذخة ، ليكون مكملاً لها ومزينا ، فتميز النحت بظهور مجموعات ضخمة من التماثيل المركبة التى أعدت لتزين القصور وواجهات المباني والحدائق والنوافير بجانب التماثيل الخاصة لتخليد الشخصيات

البارزة (محمد مصطفى عزت - د.ت - ٩٣) (بدر الدين أبوغازى - د.ت - ٣٣٩، ٣٥٩).

وقد تميزت المنحوتات الباروكية بالحرية والحركة المنطلقة العنيفة ، والمبالغة فى إظهار الإنفعالات وقد إستطاع الفنان تحقيق ذلك بالأردية الأنيقة والمحسنتات المصاحبة لها وبالمهارة الحرفية فى الأداء (محمد مصطفى عزت - د.ت - ٨٣). (برنارد مايرز - ١٩٥٨-٣٦٤) ، وذلك عن طريق تمييز انطباعات الملمس للخامات المستخدمة ، وإظهارها فى شكل تهدل وتطاير أرديتها ، وإستخدام الإضاءة فيها بشكل درامى ليساعد على إبراز الإنفعالات المطلوبة (ثروت عكاشة- ١٩٨٨-١١٢، ١١٣) .

وكما إتجهت المنحوتات الباروكية إلى الحرية والحركة المنطلقة ، كذلك إتجهت أزياء النساء أيضاً نحو الحرية والحركة والبساطة والنسب الأكثر طبيعية وذلك بتحررها من الكورساجات القمعية الهائلة الطول المدببة لسنة ١٦٠٠ ، الفارذنجيل الضخم الذى يعوق الحركة وإتجهت إلى إرتداء كورساجات الجاكت الغير مدعمة بتصميمات خطوطها الباروكية المستديرة التى تشكل الجسم بشكله الطبيعى ليظهر جمال استدارة الثدي ، كذلك يشكل الجزء السفلى من الجسم بشكل مستدير عن طريق القصات المثقبة العديدة المنتشرة أسفل خط الوسط من الجاكت اللوحتان أرقام (٢٨) ، (٢٩) .

كذلك تميزت تصميمات الزخارف الباروكية للجاكت بالحركة والحرية واللانهائية فى التصميم الذى ظهر بتداخل زخارف الطيور والنباتات الباروكية ، مع الخطوط المستديرة الملتنفة بألوان جميلة زاهية ، ومطرزة بخيوط من الفضة والذهب والحريز لتظهر روعة وجمال الأشكال الباروكية المنطلقة .

كذلك فقد تميزت أزياء الحفلات التنكرية بالمبالغة فى تصميماتها التى تعطىها الحركة المنطلقة العنيفة فى أسلوب تشكيل أرديتها المتهدلة التى يتخللها الضوء والظلال بشكل درامى ، يشبه تماماً أردية المنحوتات الباروكية فإستخدمت النساء وشاحات ضخمة من قماش خفيف شفاف بألوان زاهية ترتديها حول الجسم ، بحيث تتدلى وتسقط بطريقة مائلة من تحت الذراع ، وتمسك بعقدة على الكتف الآخر ، وكان ذلك يشكل العديد من الثنايا والإنحناءات المستديرة ، والطيات التى يلعب بها تخلل الظلال والضوء فى أشكال غاية من الجمال والروعة ، مؤكدة بذلك على أسلوب الباروك .

قد كان هذا الطراز من الأزياء منتشراً أساساً فى طراز الأزياء الرومانية القديمة ، وتظهر فيه الحركة المنطقية والإنفعالات المميزة للطراز الباروكى شكل رقم (٢٧) .

هذا وقد تأثرت تسريحات الشعر للنساء فى هذه الفترة بشكل تماثيل الكارياتيد المجسمة على الأطر ذات اللوائف اللولبية الغربية ، فازدادت التجميعات اللولبية للشعر بشكل غريب ككتل ضخمة ، كما زينت بكميات هائلة من الدانتيليات والشرائط والجواهر بإفراط شديد مؤكدة بذلك على الاتجاه الزخرفى الغزير للطراز الباروكى الشكلان أرقام (٢٨) ، (٢٩) .

وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت باروكة الشعر التى تعتبر من أهم الملامح المميزة للموضة الفرنسية فى أواخر القرن ، فى التماثيل النحتية للأشخاص يصبحها الزى الرومانى ، ويدل ذلك على اتجاه مثالى العصر إلى إستلهم واقع الحياة متمزجاً بعناصر من الفنون الكلاسيكية القديمة .

فن التصوير

إذا كان التيار الباروكى قد إجتاح فن العمارة والنحت أولاً ، فما لبث أن جرف معه فن التصوير أيضاً ، الذى بات منطلقاً بنفس معالم البذخ الباروكى . فتميز التصوير الباروكى بالنبرات الحادة ويجنون الألوان والأشكال التى باتت تنطلق فى القباب المزخرفة داخل الكنائس والقصور بلغة مماثلة للغة العمارة والنحت . (نقولا ناهض - ١٩٨٥ - ٣٠٥٩) .

وقد تأثرت الأزياء بألوان التصوير الجريئة وأساليب زخرفته المبالغ فيها ، فاستخدمت النساء الألوان الزاهية البراقة وانتشرت موضة الدمسقات والخامات التى يدخل فى نسيجها خيوط الذهب والفضة بأشكال باروكية غاية فى الروعة والجمال .

وتتجلى وتظهر قمة العلاقة الوثيقة بين فن التصوير وفن الأزياء ، فى تكليف شارل لوبران، المصور الأول للملك بالقيام بتصميم ملابس مهرجانات لويس، الرابع عشر ، فإنطبعت أزياء المهرجانات بالألوان الزاهية البراقة التى تميز بها التصوير الباروكى . وتتضح هذه العلاقة فى تحويل مصنع جوبلان بناء على أوامر كولبير إلى مركز للصناعات الفنية لاضريب له لتزويد القصور الملكية بما يلزمها من أثاث وتحف وأدوات ونسجيات مرسمة مستخدماً فيه أمهر

المصورين والمثالين والنساجين والصياغ وغيرهم (ثروت عكاشة - ١٩٨٨ - ١٨٦). وقد أدى ذلك إلى تشابه بين نسجيات الجوبلان المرسمة المتدللية على الحوائط بزخارفها الأنيقة وألوانها الجذابة ، وبين المنسوجات المستخدمة في أزياء النساء .

كذلك تشابهت أيضاً أساليب الزينة المستخدمة في نسيج الجوبلان ، مع الزينة المستخدمة في أزياء النساء . فزينت الستائر والمقاعد والمناضد بالجالونات المعدنية الذهبية ، والفضية مع الشراريب والأهداب وشرابات متدللية منها (Dav-enport-1962-542) وقد ظهر نفس الأسلوب على الجونلات في هذا القرن للوحات أرقام (٤٥) ، (٤٦) .

الفنون الحرفية

هذا وقد ظهر الطراز الباروكي أيضاً على الفنون الحرفية بكافة أنواعها . فكانت الأبهة والغرابة تميزانه كذلك الأثاث والسيراميك والزجاجيات والجواهر والحلى ، وكانت غرف وصلالات القصور تملأ بالأثاث المنحوت والمنقوش والمذهب ، وأحياناً تكون قطع الأثاث هذه غير نافعة أو مخصصة لعمل بعض التحف ، وهذه هي حال المنضدة التي شاعت بشكل منقطع النظير في القرن السابع عشر ، وقد انتشرت الأثاثات المختلفة ذو الحفر البديع على الخشب وزينت بالعاج وبالصدف وبالتذهيب ، وأثقلت بالزخارف الباروكية التي كانت تصنع على غرار أمثلة من فن العمارة وقد كانت أجزاء منها مكسوة بقشرة من الذهب وقد كان ذلك مشابهاً لتلك الأساليب المستخدمة في الملابس ومكملاتها (Barton-1961-291) .

ف نجد أن أغطية الرأس وتسريحات الشعر كانت مماثلة بدقة تامة لأشكال الكراسي الطويلة الغير معتادة وتصميم الشكل الخلفي للأريكة وهيكل الأسرة وذلك في تشكيلاتها اللولبية المتداخلة والأطوال الهائلة الغير معتادة (Yarwood-1992-53)

لذلك يمكن القول أن طراز الأزياء الباروكية قد أعطى الإحساس بجمال الجسم البشرى في شكل قصات الأزياء وإظهار جمال الليونة الطبيعية للجسم في فتحات الرقبة والأكمام القصيرة ، والانسدال الرائع للملبس وذلك في أشكال مرنة مستديرة عملت على كسر الحدة والإستقامة الشديدة للأجزاء الدعامية في الأزياء

(المؤثرات الغير مرئية) وقد عملت النساء على إظهار ذلك فى العديد من البروتريجات وهى تجذب الجونلة لأعلى عند المشى لتؤكد على الشكل المنتفخ المستدير اللين لإسلوب الباروك .

الزخارف الباروكية

إن معظم الرسومات والنقوش الزخرفية التى استخدمت فى مختلف الفنون التشكيلية لهذه الفترة سواء على الجدران ، والأسقف والأعمدة ، وقطع الأثاث والأنسجة ، وغيرها من الفنون الحرفية والصناعات الدقيقة قد امتازت باللانهاية فى شكلها من جمال النسب المكونة للتصميمات ، مع تنوع أشكال وحداتها فى تحويرات وتكرارات عديدة .

فتألفت الزخارف من أشكال محورة من سيقان النباتات الملتفة والمتداخلة مع الزهور وأشكال الفاكهة ، وفى بعض الأحيان مع أشكال الطيور وبعض الحشرات وذلك فى تصميمات لولبية دائرية غاية فى الروعة والجمال ، تضىف إحساس بالحرية واللانهاية فى التكوين لوحة رقم (٢٩) (Waugh-1969-25).

كما أخذت الزخارف أشكال حليات زخرفية بشكل أفاريز الزهور يحملها الملائكة ، وشرائط من أكاليل الزهور مع أوراق النباتات الملتفة ، كما فى اللوحات أرقام (١) ، (٢) (Bazin-1985-25)، وكذلك زينت خامات الأزياء فى اللوحات أرقام (٣٣) ، (٣٤) ، (٣٩) ، (٤٣) ، (٥١) بأشكال النباتات والزهور الملتفة وطرزت بخيوط الذهب والفضة .

كما تضمنت الزخارف أشكال خرافية متداخلة مع زهور ونباتات بالإضافة إلى الأشكال القصصية الهندسية المتداخلة مع العناصر النباتية لوحة رقم (٥٩) لقطعة من الدانتيلة (Ginsburg-1991-167).

وفى بعض الأحيان أخذت الزخارف أشكال رمزية كشكل زهرة الزنبق التى استخدمت كرمز فرنسى فى الزخارف والنقوشات المختلفة ، كما فى لوحة رقم (٢٣) للملكة «مارى دى مدتشى» ، حيث يوشى الفستان كله بزهرة الزنبق بحجم صغير ، وتشكل الأستوماكر بشكل زهرة الزنبق أيضاً بخطوطها الدائرية الملتفة وترصع بالمجوهرات (Davenport-1962-212).

كما انتشرت الزخارف الباروكية الفرنسية المميزة فى شكل شمعدان كلاسيكى متعامد مع أشكال لولبية راقية من النباتات ، كذلك صممت الزخارف

المؤلفة من الزهور والأوراق الملتفة في شكل تصميمات عمودية رائعة ورصعت بالأحجار الكريمة والماسات الكبيرة الحجم ، لوحة رقم (٣٥) للملكة ماري تيريزا (Batterberry-1982-147).

بالإضافة إلى ذلك اشتملت تصميمات الزخارف على صور الكوبيد وأشكال القرون بكثرة ، وأكاليل الزهور مع قصاصات طويلة متموجة كعلم خفاق وفيونكات من الشرائط وأيضاً أكاليل الزهور على شكل نقش على حبل زيني كالفستون حيث يتألف من زخارف على أشكال أوراق وأزهار تتعلق مع قيطان وشريات . (Morris Lestor and Netzorg Kerr - 1967-134).

وبجانب كل ذلك استمر استخدام الزخارف المتواجدة على الأعمدة الكورنثية والأيونية القديمة للعصر اليوناني الروماني (ثروت عكاشة - ١٩٨٨ - ٨١) وذلك بما تضمنه من أشكال سعف النخيل وأوراق النباتات الشوكية بأشكالها اللولبية الملتفة وزخارفها المميزة ولكن مع إسباغها بالروح الباروكية المميزة في شكل انحناءاتها الباروكية المميزة المكسوة بالتذهيب البرونزي أو بقشرة الذهب وذلك بالنسبة للعمارة والنحت والصناعات المختلفة أما بالنسبة للمنسوجات قد أخذت نفس الأفكار ولكن بأشكال تصميمات مختلفة كما في الشكل (٢٨) .

ونستخلص ما سبق

أن الطراز الباروكي يعتبر خلاصة موقف تاريخي لفترة زمنية تميزت بالمدينة والرقى ، وكانت بمثابة مرحلة إنتقالية من القديم إلى النهضة ولذلك تضمنت في قواعدها ملامح رومانية بالإضافة إلى الملامح الفرنسية ، وكانت بمثابة مركز إشعاع فني للفترات الزمنية اللاحقة إلى يومنا هذا . ومازلنا ننظر ونستمع بتلك الفترة لما فيها من فلسفة فنية عالية ، ومن خلال دراستنا السابقة لتلك الفترة التاريخية نستطيع أن نستخلص عناصر التصميم التي أتبعها الفنان التشكيلي الباروكي كى تسهل على الدارسين التعرف على الملامح الفنية الباروكية بشكل تفصيلي مع إبراز شخصية الطراز الباروكي التشكيلي .

ومن أهم عناصر التصميم الباروكية الآتي :

- النقطة

استخدمت النقطة بشكل مستدير في التكوينات الزخرفية المتواجدة على الكتل والمساحات ، كذلك أخذت النقطة أشكالاً مختلفة في شكل متكرر في

المنحنيات الباروكية ، والأشكال المختلفة للشرائط الزخرفية المستخدمة فى الفنون التشكيلية المتواجدة فى ذلك الوقت .

- الخط

تميزت الخطوط الباروكية بالحرية والحركة الدائبة المتصلة فى تشكيلاتها المفعمة بالقوة وبالحيوية والغزارة ، وذلك من خلال استخدام الخطوط اللولبية الحلزونية ، الخطوط المتكسرة بأسلوب بالغ الروعة يذهل تتبعه بالعين ، وقد أعطى ذلك الإحساس باللانهاية التى هى إحدى الخواص الأولى لفن الباروك .

- المساحة

تميزت المساحات الباروكية بالإتساع الممتلى بالتقسيمات الهندسية الكلاسيكية التى تضى عليها صفة الرصانة الوقار ، والأركان البارزة والأسطح المنحنية إلى الداخل والخارج لتبدو كأنها بدون حدود . هذا بالإضافة إلى امتلاء المساحات بالعناصر الزخرفية الغزيرة الجريئة المثيرة للإعجاب .

- الكتلة

تميز الطراز الباروكى بضخامة حجم الكتلة عن المؤلف ، مع إضفاء كل تأثيرات التجسيم المستدير على الكتل الصلبة ، وذلك باهتمام الفنان بالخطوط المائلة والمنحنية والملتفة فى شكل كتل لولبية زخرفية ضخمة وقد أضفى ذلك عليها طابع الفخامة والعظمة .

وقد أتاح هذا التكوين الفرصة لخلق التلاعب بين الضوء والظلال بالطريقة المسرحية التى يتصف بها هذا الفن ، وهى استخدامه للإضاءة بأسلوب فيه طابع درامى . وبالإضافة إلى ذلك فقد أدى تضافر التقسيمات الهندسية مع بقية التفاصيل الأخرى دوراً هاماً سيطر على التصميم لتحقيق الوحدة والكمال رغم تعدد التفاصيل .

الألوان والخامات المستخدمة

تتجلى عناية الطراز الباروكى بالألوان وذلك باستخدام نوعيات متعددة من الخامات مع الإسراف فى استخدام الخامات النفيسة كالذهب والفضة والترصيع بالأحجار الكريمة وذلك بما يتمشى مع إظهار الهدف الأساسى من الأبهة

والعظمة والفخامة التي تميز ذلك الطراز الفني ، وذلك فى مختلف أنواع الفنون التشكيلية .

فن العمارة والنحت

إستخدم الفنان الباروكى الرخام بأنواعه المختلفة المتعددة الألوان ، من الأبيض الناصع المصقول ، وألوان سن الفيل بدرجاتها المختلفة إلى الرخام الملون المتعدد الألوان بدرجاته الزاهية كالأخضر وغيره من الألوان هذا بالإضافة إلى استخدام المرمر والأحجار بدرجاتها اللونية المختلفة كذلك إستخدام الآجر والجص والطين المحروق بدرجاته البنية الداكنة .

كذلك يهيمن طراز الباروك الذى كانت تنطوى عليه المباني من الداخل على أعمال الأثاث والنحت وكثير من الصناعات الصغيرة والدقيقة المزينة لها من الداخل فإنتشر الأثاث ذو الحفر البديع على الخشب ، وزين بالعاج ، وبالصدف ، والأبنوس وبالتذهيب .

كما إستخدموا الفضة المزججة ، النحاس ، القصدير ، الكريستال ، والبرونز فى الزخرفة الداخلية والخارجية للعمائر وفى كثير من الصناعات ، هذا بالإضافة إلى زخرفة الأسقف بالزخارف والتصاوير والمنحنيات الباروكية المكسوة بقشرة الذهب ، وبنقوشات من الجص المذهب هذا مع نسجيات الجويلان المرسمة المتدلّية على الحوائط ذات الزخارف والألوان الأنيقة الجذابة .

فن الأزياء

فقد تنوعت الخامات المستخدمة فاستخدمت النساء الحرير ، الستان ، القطيفة ، الأقطان بألوان متعددة (كما سبق ذكرها فى الخامات الباروكية) وذلك بنقوشات مختلفة ، وكان اللون الأرجوانى والبنفسجى والقرمذى المطرز بخيوط الذهب ، أو بخيوط الفضة من الألوان المفضلة لديهم .

كذلك تنوعت الخامات المستخدمة فى الزينة ، فإستخدمت النساء الشيفون والدانتيلة وفيونكات شرائط ، والأشكال المختلفة من التجعيدات والأهداب والشراريب وكشكشات القماش بألوان مختلفة ، هذا بجانب إستخدام المعادن النفيسة والترصيع بقطع الماس والأحجار الكريمة .